

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المطففين

وهي سورة مكية، تبدأ بقوله سبحانه:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ١ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾

دعاء بالخسران، وتهديد بالهلاك ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ الذين يخسون حقوق الناس. ولزيادة التعريف بهم يقول ربنا: هم ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ أي: من الناس ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ حقوقهم بأخذها كاملة وافية.

وهذا لا عيب فيه!!

﴿و﴾ لكن العيب، أنهم ﴿إِذَا كَالُوهُمْ﴾ أي: كالوا لهم ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ أي: وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ أي ينقصون.

وإذا كان هذا العمل في الكيل والميزان: مذموم!!

فهو في باقي الأمور العادية والمعنوية أشد ذمًا.

والله إنه لعجيب أمر هؤلاء!!

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ ٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

يعني: ﴿أَلَا يَظُنُّ﴾ يعتقد ويعرف ﴿أُولَئِكَ﴾ المطففون ﴿أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ من قبورهم ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهو يوم الحساب.

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ جميعاً ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وعليه: فلا ينبغي منهم هذا التطفيف، بل عليهم العمل بالسوية والعدل في كل أخذ وعطاء، بل في كل قول وعمل.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينَ﴾ (٧) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينَ﴾ (٨) ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ (٩) ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٠) ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ (١١) ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ (١٢) ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣)

﴿كَلَّا﴾ لا ينبغي لهم ولا منهم هذا التطفيف، حيث إن من يعتاد عدم العدل في الحقوق أخذاً وعطاءً: هو من الفجار، والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ﴾ أي: صحائف أعمالهم ﴿لَفِي سِجِّينَ﴾ الذي يدوّن الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والإنس.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا﴾ فظاعة ﴿سِجِّينَ﴾ هذا الذي هو في الأرض السابعة، محل إبليس وجنوده؟

وكتاب الفجار ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ مختوم لا يزداد فيه، ولا ينقص منه. ثم يهدد الله هؤلاء الفجار قائلاً: ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ وهو يوم القيامة، يفعلون ما يفعلون مما لا يرضي رب العالمين. ﴿و﴾ على أية حال ﴿مَا يُكَذِّبُ بِهِ﴾ أي بيوم الدين ﴿إِلَّا كُلُّ﴾ من اتصف بهذه الصفات:

أولاً: ﴿مُعْتَدٍ﴾ مجاوز لقدره، وحدود الله التي شرّعها.
ثانياً: ﴿أَثِيمٍ﴾ في أقواله وأفعاله إن حَدَّثَ كذب، وإن وعد أخلف، وإن خاصم فجر، وإن عاهد غدر.
ثالثاً: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا﴾ من القرآن ﴿قَالَ﴾ عنها مكذباً لها: إنها ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ التي لا أصل لها، وهي مكذوبة.

وعليه: فلا ينبغي منهم هذا التكذيب، بل عليهم، أن يسارعوا في الإيمان والطاعة. ثم يقول الحق سبحانه:

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤)

﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر كما يقولون، فيكذبون به، ﴿بَلْ﴾ الحقيقة: أنه ﴿رَانَ﴾ غلب ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ حتى غطّاها، وأعمّاها عن الحق ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي.

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

﴿كَلَّا﴾ أي: حقًّا ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ ممنوعون، ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ﴾ نتيجة هذا الحرمان ﴿لَصَالُوا﴾ لداخلوا ﴿الْجَحِيمِ﴾ للحريق والعذاب. ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم تبكيًا وتحسيرًا ﴿هَذَا﴾ اليوم، وهذا العذاب هو ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ فدوقوه، واخلدوا فيه.

بعد هذا البيان الإلهي لكتاب الفجار، وحالهم، ومصيرهم الذي يخوّف الله بذكره عباده، يبين ربنا عز وجل: الفريق المقابل لهم، وحالهم، ومصيرهم ترغيبًا لعباده في العمل الصالح الذي يرضي الله، ويسعد العباد، ويصلح البلاد. فيقول الحق سبحانه:

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢١﴾

﴿كَلَّا﴾ لا ينبغي الفجور والعصيان، والمخالفة لأوامر الله، بل الواجب: هو الطاعة الكاملة؛ ليكون العبد من الأبرار، حيث ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ أي: صحائف أعمالهم ﴿لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ الذي يدّون الله فيه أعمال الصالحين المطيعين من الجن والإنس.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا﴾ عظمة ﴿عِلِّيُّونَ﴾ هذا الذي هو في السماء السابعة تحت عرش الرحمن!!؟

وكتاب الأبرار هذا ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ مختوم، لا يزداد فيه، ولا ينقص منه. أيضًا ﴿يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ﴾ من الملائكة.

حَقًّا: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ مقيم ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ متكئين ﴿يَنْظُرُونَ﴾ إلى ما أعطوا من النعيم. إذا نظرت إليهم: ﴿تَعْرِفُ﴾ ترى ﴿فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ بهجته، وأثره عليهم.

وهم في هذا النعيم: ﴿يُسْقَوْنَ﴾ شرابًا خالصًا لا غش فيه ﴿مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ لا يَفُكُ ختمه الذي يغلق به، إلا هم.

﴿خِتْمُهُ﴾ إذا فتح: رائحته ﴿مِسْكٌَ﴾، ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ النعيم، والرحيق، والمسك ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ بالمسارعة إلى عمل الصالحات، والابتعاد عن السيئات.

﴿و﴾ هذا الرحيق، الذي يشربونه ﴿مِزَاجُهُ﴾ الذي يخلط به: ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ وهو: أشرف شراب أهل الجنة وأعلى حال كونه، ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾ ومنها ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾.

هذا: هو جزاء الأبرار المتقين، الذين آمنوا.

وللعلم: وقد كان الكفار يضحكون من هؤلاء في الدنيا، وعليهم يتغامزون، ولذلك: يقول الحق سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ كفروا ﴿كَانُوا﴾ في الدنيا ﴿مِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ويستهزئون بهم وعليهم.

﴿وَكَانَ الْكَافِرُونَ﴾ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ ﴿أَيَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يَتَغَامَزُونَ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ استهزاء

بهم.

﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا﴾ أَي: رجعوا ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ بعد هذا الاستهزاء ﴿أَنْقَلَبُوا﴾ فَكِهِينَ ﴿مَعْجِبِينَ بِمَا فَعَلُوهُ﴾.

﴿وَكَانُوا أَيْضًا﴾ إِذَا رَأَوْهُمْ ﴿فِي أَيِّ وَقْتٍ، أَوْ أَيِّ مَكَانٍ﴾ قَالُوا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَصَّالُونَ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ﴾.

ويرد الله عز وجل عليهم في موقفهم هذا بقوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤْثِرُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

يعني: لم شغل الكفار بالمؤمنين على هذا الشكل؟!

﴿وَ﴾ هم ﴿مَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ﴾ لأحوالهم، مراقبين لأعمالهم، في الوقت الذي تركوا فيهم هم ما كُفُّوا به من الإيمان والطاعة.

على أية حال: ﴿فَالْيَوْمَ﴾ أَي: يوم القيامة تنعكس الآية، ويصير ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ مجازاة لهم.

ويكون المؤمنون في النعيم ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ من منازلهم إلى الكفار وهم يُعَذَّبُونَ.

حقًا: ﴿هَلْ تُؤْثِرُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ بالمؤمنين في الدنيا؟

نعم، لقد جُوزوا أوفر الجزاء وأكملة!!

فبئس مثوى الكافرين!!

ونعم دار المؤمنين!!

والحمد لله رب العالمين!!



obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الانشقاق

سورة مكية، وهي تبدأ بقول الله عز وجل:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (١) ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (٢) ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ (٣) ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ (٤) ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (٥)

نعم: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ تشققت وتصدعت و﴿أَذْنَتْ﴾ استمعت ﴿لِرَبِّهَا﴾ وأطاعت ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي: وحق لها أن تسمع وتطيع لأمر الله، ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ بسطت وسويت، ولم يبق عليها بناء ولا جبل، ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الأموات ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ عنهم، و﴿أَذْنَتْ﴾ استمعت ﴿لِرَبِّهَا﴾ وأطاعت ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي: وحق لها أن تسمع وتطيع لأمر الله.

نعم، إذا حدث هذا: فقد قامت القيامة. لذلك فانتبه:

﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَمَلَقِيهِ﴾ (٦) ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِمِيزَانِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (٩) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (١٠) ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ (١١) ﴿وَيَصِلَىٰ سَعِيرًا﴾ (١٢) ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (١٣) ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ (١٤) ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ (١٥)

انتبه: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ﴾ لهذا اليوم، واستعد بالإيمان، والعمل الصالح له، حيث ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ أي: ساع وسائر ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ بالموت ﴿كَدًّا﴾، لذلك: فمن استطاع

أن يكون كدحه وسعيه وعمله في طاعة الله فليفعَل، إذ مهما كان كدحه خيرًا أو شرًا: ﴿فَ﴾ إنه ﴿مُلَاقِيهِ﴾ وسوف يحاسب عليه.

والناس أقسام على حسب عملهم وسعيهم يوم القيامة:

أ - ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ﴾ الذي سجل فيه عمله ﴿بِئْمِينِهِ﴾ وهو المؤمن ﴿فَسَوْفَ﴾:

أولًا: ﴿يُجَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ وهو عرض عمله عليه، ثم يثاب على الطاعة، ويتجاوز له عن المعصية.

ثانيًا: ﴿وَيَقْلَبُ﴾ أي: يرجع ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ المؤمنين في الجنة فرحًا ﴿مَسْرُورًا﴾

ب - ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ﴾ بشماله من ورَاء ﴿ظَهَرِهِ﴾ وهو الكافر ﴿فَسَوْفَ﴾:

أولًا: ﴿يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ يقول: يا ويلاه!! يا هلاكاه!! من شدة أهوال ما يلاقى.

ثانيًا: ﴿وَيُصَلَّى﴾ يدخل ﴿سَعِيرًا﴾ أي: جهنم حيث ﴿إِنَّهُ كَانَ﴾ في الدنيا وهو ﴿فِي أَهْلِهِ﴾ أي: معهم ﴿مَسْرُورًا﴾ بما يفعل من إنكار البعث، وعدم توحيد الله، والسخرية بالمؤمنين.

نعم ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ أي: لن يرجع إلى ربه، ولن يكون هذا اليوم؛ لأنه كَذَّبَ بالبعث.

﴿بَلَى﴾ سيرجع الكافر، وسيبعث ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ وسيجزيه على كفره، وعمله السيء.

إذا عرفت هذا أيها الإنسان، وتحققت من البعث، وتيقنت من الرجوع إلى ربك:

﴿فَلَا أُفْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ (١٦) ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ (١٧) ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ (١٨)

الجواب: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٩)

يعني: يقسم ربنا ببعض مخلوقاته؛ منبهاً لهم على أمر خطير؛ حيث يقسم أولًا: ﴿بِالشَّفَقِ﴾ وهو الحمرة في الأفق بعد غروب الشمس.

كما يقسم ثانيًا: ﴿وَالَيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: ما دخل عليه بظلمته من الكائنات.
ويقسم ثالثًا: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ يعني: اجتمع نوره وتم، وذلك في الليالي البيض.

يقسم ربنا عز وجل بهذه الأشياء ثم يقول: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أيها الناس ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالًا بعد حال، كالموت، ثم الحياة بعده، ثم أحوال وشدائد القيامة.
وإذا كان هذا حالهم في يوم القيامة!! وإذا كانوا قد عرفوه وهم في الدنيا!!

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾
﴿فَمَا لَهُمْ﴾ أي الكفار، بعد هذا الوضوح ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالله واليوم الآخر؟
﴿و﴾ ما لهم أيضًا ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ أي: لا يخضعون؟
نعم! ما الذي يمنع من الإيمان والخضوع؟ هل هو عدم وضوح الحق أمامهم؟ هل هو عدم فهمهم؟ لا هذا ولا ذاك.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

﴿بَلِ﴾ الحقيقة: أن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ بالبعث وما بعده.
﴿وَاللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي: يجمعون في صحائف أعمالهم من الكفر وأعمال السوء؛ وسيجازيهم عليها.
لذلك ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

هذا عن الكافرين، أما عن المؤمنين، فيقول ربنا عز وجل:

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٢٥)
﴿إِلَّا﴾ أي: لكن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بجوارحهم: فهؤلاء ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿أَجْرٌ﴾ أي: جزاء ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع ولا منقوص.

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة البروج

وهي سورة مكية، تبدأ بقول الله عز وجل:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ (١) وَالْيَوْمِ الْوَعْدِ ۝ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝ (٣)﴾

هذا قسم من الله تعالى، يقسم فيه سبحانه بالسماء ﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ والبروج، هي: المنازل والطرق التي تسير فيها الكواكب.

وباليوم ﴿الْوَعْدِ﴾ وهو يوم القيامة.

وبشاهد في ذلك اليوم ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ والشاهد، هو كل الخلائق، والمشهود، هو ما في هذا اليوم من العجائب والأحوال والأهوال.

كل هذا قسم وجوابه محذوف. تقديره: لقد لعن المكذبون لمحمد ﷺ.

نعم، لقد لعنوا كما:

﴿قُلْ أَعْتَبُ الْآخِذُونَ ۝ (٤)﴾

أي: لعن وطرده من رحمة الله أصحاب الآخذود، ولكن ما هذا الآخذود؟

إنه: شق عظيم في الأرض. ملأه المكذبون، ب:

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُؤُودِ ۝ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ (٧)﴾

نعم، بـ ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُودِ﴾ الهائل الشديد، المُكُون من الحطب، وأبدان الناس
﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ أي: حولها ﴿قُعُودٌ﴾ يتفرجون على هذا الحريق لمخالفيهم.

﴿وَهُمْ﴾ أي: المكذبون الكافرون ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعُلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ أي: حضور،
يشرفون بأنفسهم على هذا الحرق.

وقد حدث هذا من الكفار لبعض أقوامهم، وتحلقوا حولهم، وصاروا يتلذذون بهذا
الإحراق. ولكن لماذا فعلوا هذا؟ يقول المولى عز وجل:

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ يعني: وما عابوا عليهم شيئاً فعلوه ﴿إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا﴾
ويستمروا على إيمانهم، ويتمسكوا به، ولا يستجيبوا لهم في الكفر ﴿بِاللَّهِ﴾ سبحانه
وتعالى ﴿الْعَزِيزِ﴾ الغالب، ﴿الْحَمِيدِ﴾ المنعم، ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ والكل في قبضته وتحت سلطانه، وهو سبحانه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي
هو تعالى مطلع على أعمال عباده، لا تخفى عليه خافية من شؤونهم.

وإذا كان الله قد لعن هؤلاء الطغاة في الدنيا، فإن جزاءهم في الآخرة فظيع، حيث يقول
الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ
الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾

يعني: ﴿إِنَّ﴾ الظالمين ﴿الَّذِينَ فَتَنُوا﴾ أي: عذبوا ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾
ليردوهم عن دينهم، أو يمنعوهم من إقامة شرع ربهم ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ قبل موتهم،
وماتوا على ذلك: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ جزاء عادلاً لهم ﴿وَلَهُمْ﴾ فيها: أي جهنم
﴿عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ كما حرقوا المؤمنين في الدنيا.

وأما أهل الإيمان، فيقول عنهم ربنا تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾

نعم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وصبروا على أذى الكافرين في حال ضعفهم: ﴿لَهُمْ﴾ عند ربهم ﴿جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ بخلاف أعدائهم الذين لهم عند ربهم عذاب جهنم، ولهم كذلك عذاب الحريق، ﴿ذَلِكَ﴾ هو ﴿الْفَوْزُ﴾ الحقيقي ﴿الْكَبِيرُ﴾ الذي لا سعادة ولا فوز بعده.

يا محمد، ويا كل داعية إلى الله!! لا تيأس، لا تجزع من علو الطغيان، وأذى الطغاة، ما دمت قد بذلت ما في وسعك، فإن ربك سوف ينتقم منهم، ويبطش بهم:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَبَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْعَفْوَ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ بالظلمة، وانتقامه منهم ﴿لَشَدِيدٌ﴾، حيث ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه هو الذي ﴿يُبْدِئُ﴾ الخلق، ويميتهم ﴿وَبُعِيدُ﴾ بعثهم، فهو القادر الذي لا يعجزه شيء.

﴿وَهُوَ﴾ في الوقت ذاته ﴿الْعَفُورُ﴾ لمن أذنب وتاب إليه ﴿الْوَدُودُ﴾ المحب لأوليائه. ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ صاحب العرش، وخالقه، ومالكه ﴿الْمَجِيدُ﴾ المستحق لكمال صفات العلو والمجد والرفعة والعظمة.

لكل ذلك: هو ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، لا يمنعه من تعذيب الطغاة والعصاة شيء، ولا يمنعه كذلك من تكريم المؤمنين الطائعين الصابرين شيء.

يا محمد، ويا كل داعية إلى الله!!

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ وَرِعُونَ ثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ وعرفت حديث ﴿الْجُنُودِ﴾ الطغاة الظلمة من أمثال ﴿فِرْعَوْنَ﴾
و﴿ثَمُودَ﴾ وعرفت ما نزل بهم، وما حدث لهم؛ لتطمئن لانتقام ربك من المكذبين، وتثق
أن: ﴿بَطَشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٍ﴾ [البروج: ١٢].

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ (١٩) ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ (٢٠)
﴿بَلِ﴾ إن أمر قومك أعجب من حديث الجنود هؤلاء؛ حيث إن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
منهم ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ مستمر، وعناد متبجح، ﴿وَاللَّهُ﴾ عز وجل ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾
بهم، لا يفلتون منه، وسوف يعذبهم على هذا التكذيب والعناد إن لم يؤمنوا.
إنهم يكذبون ما جئت به، وما تبليهم إياه، ويقولون: إنه أساطير الأولين.
لا، ليس الأمر كما يقولون!!

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ (٢١) ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ (٢٢)
يعني: ﴿بَلِ﴾ الذي يقولون عنه ذلك ﴿هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ عظيم، كما أنه ﴿فِي لَوْحٍ
مَحْفُوظٍ﴾ من الشياطين، ومن التغيير فيه، والتبديل له، لذلك: كيف يكفرون به؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الطارق

وهي سورة مكية، تبدأ بقوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾

هذا: قسم من الله تعالى يقسم فيه سبحانه بالسماء، وما فيها، ومن فيها، وبالطارق الذي يعظم أمره، قائلًا ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾؟ لتتطلع النفس لمعرفة هذا الذي عظمه الله!!

ثم يفسره ويبيّنه قائلًا: هو ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ الذي يثقب الظلام بضوئه.

هذا هو القسم، وجوابه:

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾

أي: ما ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلا ﴿عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ من الملائكة، يحفظها، بتكليف الله له، من الآفات، كما يحفظ بالكتابة عملها ورزقها وأجلها، فإذا استوفى ذلك: مات الإنسان.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾

نعم، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ في نفسه؛ ليعرف ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾!! أي: من أي شيء خلقه الله. فإذا فعل ذلك، وتفكر فيه: سيعرف أنه ﴿خُلِقَ﴾ بقدرة الله تعالى ﴿مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾، وهذا الماء: ﴿يَخْرُجُ﴾ أيضًا بقدرة الله ولطفه ﴿مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ للرجل، وهو عظام

الظهر، ﴿وَالْتَرَائِبَ﴾ للمرأة، وهي عظام الصدر.
 ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه، وقد خلق الإنسان بهذا الشكل ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ حيًا يوم البعث
 ﴿لِقَادِرٍ﴾، وذلك: ﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾ تنكشف ﴿السَّرَائِرُ﴾ الخفية، التي لا يعملها إلا الله.
 وعندها: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ﴾ في نفسه تنقذه مما هو فيه ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يدفع عنه ما
 يلاقه ويعاينه.

ثم يقسم ربنا قسمًا آخر قائلاً:

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾

أي: أقسم بالسماء ﴿ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ للمطر وإعادته إلى الأرض.
 وأقسم كذلك بالأرض ﴿ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ أي: الشق، حيث تتشقق بالنبات والبراكين،
 وغير ذلك.

هذا هو القسم، وجوابه:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ بين الحق والباطل ﴿وَمَا هُوَ﴾ كما يقول
 المكذبون ﴿بِأَهْزَلٍ﴾، بل هو جدُّ كله!!

لذا: يجب أن يكون مهيبًا في الصدور، مهيمًا على الحياة.

ختامًا: يا محمد، ويا كل داعية إلى الله!!

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُمْ رُؤُوسًا ﴿١٧﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: الطغاة المكذبون المعاندون ﴿يَكِيدُونَ﴾ لهذا الدين وأهله ﴿كَيْدًا﴾
 من الصد عنه، والإيذاء لأهله.

﴿و﴾ لكن ﴿أَكِيدُ﴾ لهم ﴿كَيْدًا﴾ حيث أجازيهم على كيدهم ومكرهم بما هو
 أنكى لهم، وأشد تنكيلًا.

على أية حال!! لا تدع بهلاكهم، ولا تستعجل لهم، أي: إصبر، وسترى ما سيحل بهم،
 مادمت قد بذلت كل ما في وسعك في تنفيذ أمر الله لك!!